مجلة الهادي

العدد : ١٨٦ الموافق في شـــعبان ١٤١٧ هجري ١ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : ومن أحسن من الله حكماً ؟	بقلم : عبد الله هارون

هذا العنوان جزء من الآية (٥٠) من سورة المائدة ، والتي يقول الله تعالى فيها : { **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** } ، وقد أردت تحت هذا العنوان شرح القاعدة التي كان المفروض أن تكون حاكمة لحياة المسلمين... على مستوى الفرد والمجتمع والأمة... مع إعطاء نموذج عملي لتطبيق هذه القاعدة في جانب من جوانب الحياة...

فالذي لا شك فيه عند المسلمين الواعين ، أن حكم الله تعالى هو الذي يجب أن يحكم حياة المسلمين في جميع جوانب الحياة ، وفي كل وقت ، وفي أي مكان يعيش فيه المسلم ، فلا يقول المسلم قولاً ، ولا يعمل عملاً ، ولا يتصرف تصرفاً ، إلا بعد معرفة حكم الله تعالى ، ثم يقول ويعمل ويتصرف بما يمليه عليه منهج العبودية لله عز وجل القائل : { **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** } [الذاريات:٥٦] .

وبناء على هذه القاعدة فكل خروج عن حكم الله تعالى ، أو تجاهل له ، إنما هو خروج عن العبودية الحقة لله عز وجل ، وهذا الذي أرشدت إليه الآية في الجزء الأول منها { **أفحكم الجاهلية يبغون** } كما أن الآية تكشف ثلاث حقائق :

١- تحديد مفرق الطرق للبشر بطرح سؤالين ؛ الأول : استنكاري ؛ لمن ابتغى حكم الجاهلية ، والثاني : تقريري ؛ لأفضلية حكم الله عز وجل. ثم الخيار للإنسان ، فكل من ينصرف عن قبول حكم الله تعالى ، ويعرض عنه ؛ يبتغي حكم الجاهلية.

٢- ليس هناك أحسن من حكم الله عز وجل عند أهل اليقين ، بخلاف أهل الجهل والأهواء ، الذين لا يرضون إلا بما وافق أهواءهم ولو كان باطلاً ، قال الزجاج : « من أيقن تبين عدل الله في حكمه ».

٣- الناس في أي مكان وفي أي زمان ، إما أنهم يقبلون حكم الله تعالى ويخضعون لشريعة الإسلام ويسلمون تسليماً ، فيكونون إذن في دين الله تعالى : { **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** } [النساء:٦٥] ، وإما أنهم يحكمون بشريعة من وضع البشر - في أي صورة من الصور - ويقبلونها ، فهم إذن في جاهلية ، وهم في دين من يحكمون بشريعته - فقد أطلق القرآن على حكم ملك مصر زمن يوسف عليه السلام « دين » - وليسوا بحال في دين الله تعالى.

الأمن في البلاد العربية كمثال لتطبيق القاعدة

ورد في خطاب الشارع - كما يقرر علماء أصول الفقه - تحديد أولئك الذين لهم الأمن فقال تعالى : { **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** } [الأنعام:٨٢] ، وذكّر الله تعالى المؤمنين : كيف تحقق الأمن للجيل الأول من سلفهم ؟ فقال الله عز وجل : { **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** } [الأنفال:٢٦] ، ووعد الله تعالى كل من تتوفر فيه الشروط بالأمن فقال تباركت أسماؤه : { **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** } [النور:٥٥].

وبمراقبة واقع الأمة التي أراد الله تعالى لها أن تتمتع بالأمن يتبين أنها تعيش حالة القلق والتهديدات الداخلية والخارجية... وقد عم الظلم معظم جوانب الحياة ، وابتعدت الأنظمة الحاكمة في البلاد عن منهج وشرع الله الذي اشترط أن يحكم ليتحقق الأمن... وقامت في المنطقة العربية منظمات ومجالس قومية وجمهورية مثل : جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي واتحاد الدول المغاربية... ومنظمات إسلامية مثل مؤتمر الدول الإسلامية...الخ والسؤال المطروح : لماذا لم تحقق الدول والمنظمات والمجالس الأمن الوطني أو القومي أو الجمهوري...؟!

بالرغم من وجود معاهدة دفاع مشتركة بين البلاد العربية منذ سنة ١٩٥١م ، والتي أقرت إنشاء مجلس دفاع مشترك بلجان ملحقة به ، فإن الدفاع المشترك لم يتحقق أبداً ، بل إن الأمر انتهى إلى تواجه الجيوش العربية في حرب «تحرير الكويت» ، ودخلت المنطقة في نفق مظلم ، لا يعلم إلا الله تعالى متى تخرج منه ؟

لقد كشفت حرب الخليج الثانية أن اجتياح الجيش العراقي للكويت في ١٩٩٠/٨/٢م لم يظهر شيئاً جديداً لم يكن متوقعاً من قبل !!! وإنما أظهر حقيقة أنه لم يكن هناك اتفاق على مفهوم الأمن وفكرة العمل لتحقيقه ، وعدم وجود آلية مجمع عليها بين القادة العرب ، وإن كان هناك قرارات جماعية على الأوراق وفي محاضر الجلسات كلها تتكلم عن الأمن !!.

وأخيراً كشفت هذه الحرب أن الأنظمة العربية لا تتميز فقط بالبعد عن حكم الله تعالى ، وإنما

تتميز أيضاً بعدم احترام قراراتها السياسية... وأن المنطقة يسود فيها ظاهرة فرض الأمر الواقع على أساس القوة ، وليس على أساس أي قاعدة شرعية إلهية... أو حتى بشرية... ولعل ذلك هو الذي جعل المؤتمرين في مدريد - عرباً وغير عرب - سنة ١٩٩١م يوافقون على التمكين لشعب تجمع من الشتات - يهودي وصهيوني - على أن يحل محل الشعب الفلسطيني الموجود في أرض فلسطين من آلاف السنين...

وهنا يحق لكل عاقل مؤمن أن يطرح السؤال على الأمة الإسلامية والعربية : ألم يحن الوقت للرجوع إلى الحق بتحكيم حكم الله تعالى - كما فعل السلف الصالح - حتى يتحقق في المنطقة الأمن الذي وعد الله تعالى به ؟!.